

الفضاء العمومي والعنف الرمزي في السياق السوسيو-
سياسي الجزائري: قراءة في الآليات والمعوقات

*Public space and symbolic violence in the Algerian
sociopolitical context
- Reading in the mechanisms and obstacles -*

كريمة بوفلاحة^{1*}، جميلة حميداش²

¹ جامعة الجزائر 3 (الجزائر)، boufellaga.karima@univ-alger3.dz

² جامعة الجزائر 3 (الجزائر)، hamideche.djamila@univ-alger3.dz

تاريخ النشر: 2023/12/31

تاريخ القبول: 2023/06/24

تاريخ الارسال: 2023/04/08

ملخص:

يحاول هذا المقال الاقتراب من مفهوم الفضاء العمومي في السياق السوسيو-سياسي الجزائري، وذلك من خلال الإشارة إلى الممارسات الموجهة للسيطرة على مختلف الآليات التي تهيكله في الواقع من طرف السلطة والنخب السياسية عموماً، ما يجعلها تمارس عليه عنفا رمزياً كما أوضحه بيير بورديو (Pierre Boudieu).

وقد انتهى المقال إلى أنّ الحديث عن إمكانية "تشكيل فضاء عمومي" في جزائر اليوم مهمة مستحيلة، ما يقتضي التعامل بحذر مع مفهوم الفضاء العمومي في السياق الجزائري، الذي يعرف بخصوصيات وسياقات مختلفة تماماً عن تلك التي ميزت المجتمعات الغربية التي عُرف فيها. الكلمات المفتاحية: بيير بورديو؛ ديمقراطية؛ عنف رمزي؛ فضاء عمومي جزائري؛ وسائل الإعلام؛ يورغن هابرماس.

Abstract:

Through this article, we have tried to approach the concept of public space in the Algerian socio-political context, by referring to the practices aimed at

controlling the various mechanisms that actually structure it on the part of the authorities and political elites in general, which makes them practice symbolic political violence on it, as explained by Pierre Bourdieu.

At the end of the article, we concluded that talking about the possibility of "forming a public space" in Algeria today is an impossible task, so we must deal with caution with the concept in the Algerian context.

Keywords: *Algerian public space; Pierre Bourdieu; democracy; Jürgen Habermas; media; symbolic violence*

1. مقدمة

إنّ محاولة النظر للفضاء العمومي الجزائري وفقا لمفهوم هابرماس تجعلنا نجانب الواقع نظرا لخصوصية المجتمع الجزائري، إذ ينطلق مفهوم هابرماس للفضاء العمومي من واقع تاريخي خاص بالمجتمع الأوروبي يختلف عن المجتمع الجزائري التقليدي؛ لارتباط مفاهيم الفضاء العمومي (كما ذهب إليه) بمفاهيم أخرى كمفهوم الفردية والنظام السياسي والديمقراطية.

ارتبط الفضاء العمومي كمفهوم سوسيو-سياسي بالمجتمعات "الديمقراطية" بالأساس، إذ تُعبّر الديمقراطية في معناها العام عن طريقة من طرق الحياة؛ يستطيع فيها كل فرد في المجتمع أن يتمتع بتكافؤ الفرص عندما يشارك في الحياة الاجتماعية، وهي بمعنى أضيق تعني الفرصة التي يُتيحها المجتمع لأفراده للمشاركة بحرية في اتخاذ القرارات في نواحي الحياة المختلفة.

ويتضمّن هذا المفهوم مجموعة من المعايير؛ التي تنتقل إلى الأفراد من ثقافتهم عبر الأجيال المختلفة، وتترجم بدورها إلى سلوكيات ومعتقدات وقيم، ومن أهم هذه القيم: تقدير المشاركة العامة في اتخاذ القرار، ضمان حرية التعبير، مسؤولية الفرد عن أفعاله، وتحقيق العدالة بين جميع أفراد المجتمع.

وهذا ما يقودنا لطرح التساؤل التالي:

كيف يؤثر العنف الرمزي الممارس على المستوى السياسي والاجتماعي في الجزائر على إمكانية تواجد فضاء عمومي؟

ومنه يمكن طرح مجموعة من الأسئلة الفرعية:

- ما هي الآليات والأدوات المساهمة في خلق فضاء عمومي؟
- هل يمكن الإقرار بوجود فضاء عمومي في السياق الجزائري؟
- ما علاقة العنف الرمزي بمفهوم الفضاء العمومي؟

I. مدخل مفاهيمي:

1.I - مفهوم الفضاء العمومي:

يُعرّف يورغن هابرماس (J. Habermas) مؤسس مفهوم الفضاء العمومي بأنه "المسار الذي يستحوذ من خلاله العموم (Public) المتكوّن من أفراد يحتكمون إلى العقل على الفضاء العمومي المسير من طرف السلطة وتحويله إلى فضاء يمارس فيه النقد" (J. Habermas, L'espace public, 1990)

و يذهب كيمب (Kemp) إلى أنّ الفضاء العمومي هو تلك الساحة من الحياة العامة، و التي يمكن فيها الوصول إلى موافقة عامة على قيم و معايير؛ تعمل كميكانزمات لحل المشكلات الاجتماعية و السياسية، و هذا ما يؤكده كين (Keane) عندما يذهب إلى أنّ الفضاء العمومي يتضمن تلك السّاحات؛ التي يقوم فيها الأفراد بتناول ما يفعلونه ويحيط بهم، و يصلون لقرار في كيف سوف يعيشون معاً، و يعملون بشكل جماعي خلال المستقبل (S. Micheal, 1997)

وتذهب بليندا ديفيز (Davis Belinda) إلى أنّ الفضاء العمومي هو فضاء للحوار و مكان للتأثير و النفوذ السياسي، و الذي يقوم على احترام الآخر وآرائه ومعارفه، و ذلك بهدف تحقيق الإجماع على رأي واحد فيما يتّصل بالمصلحة العامة (H. Mah, 2000)

أما فاليري دوفيار (Vallerie Devillard) فصاغت مفهومها للفضاء العمومي على أنّه "فضاء مشيّد و مؤسّس بين المجتمع المدني و الدولة، بين المواطنة و المعاشرة، بين العام و الخاص، و بين الأخلاق و السياسية" (V. Devillar)

ويعرّفه نصر الدين لعياضي بأنّه: "فضاء للمواطنة التي تمنح لكل فرد وضعاً قانونياً، أي تعتبره كائناً قانونياً يتمتّع بحقوقه السياسية والإنسانية، مثل حرية التنقل؛ حرية الاجتماع؛ حرية التعبير عن الرأي؛ وحرية الاتصال والاطّلاع على ما يجري داخل الوطن وخارجه، وتجعله يتساوى مع غيره أمام القانون. كما أن غياب الحريات المذكورة، وممارسة الرقابة على المعلومات والأخبار والأفكار لا يسهم في إنتاج الفضاء الحر الذي

تداول فيه الأفكار والآراء والحجج بكل حرية، فالحرية تُعدّ شرطاً وجودياً لبروز الرأي والنقاش، وضمّاناً للمشاركة في اتخاذ القرارات" (نصر الدين لعياضي، 2011)

I. 2 - مفهوم العنف الرمزي:

من المعلوم أن العنف نوعان عنف فيزيائي يكون بإلحاق الضرر بالآخرين جسدياً ومادياً وعضوياً، وعنّف رمزي مهذب يكون بواسطة اللغة، والهيمنة، والإيديولوجيات السائدة، والأفكار المتداولة. ويكون أيضاً عن طريق السب، والقذف، والشتيم، والدين، والإعلام، والعنف الذهني.

لذا، يعرفه بيير بورديو الذي ابتكره وكان من أهم محاور أعماله بقوله: "العنف الرمزي هو عبارة عن عنف لطيف وعذب، وغير محسوس، وهو غير مرئي بالنسبة لضحاياه أنفسهم، وهو عنف يمارس عبر الطرائق والوسائل الرمزية الخالصة. أي: عبر التواصل، وتلقين المعرفة، وعلى وجه الخصوص عبر عملية التعرف والاعتراف، أو على الحدود القصوى للمشاعر والحميميات" (Pierre Bourdieu, 1998)

ويرى أسعد وطفة أن العنف الرمزي هو "استخدام الدلالات والرموز والمعاني للسيطرة على الآخر وفرض الهيمنة عليه، ويأخذ هذا النوع من العنف صورة خفية ملتبسة تمكّن صاحبها من الوصول إلى غايته وتحقيق ما يصبو إليه من سيطرة وهيمنة دون اللجوء إلى القوة الواضحة والمعلنة، ويتغلغل هذا النوع من العنف في مختلف تجليات الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية منذ أقدم العصور". (علي أسعد وطفة، 2009)

فهو "نمط خاص من العنف العام يسمى أحياناً بالعنف المقنع أو المستور أو حتى الخفي، وهو أسلوب موجه إلى عامة الناس خلاف العنف المادي أو المباشر الذي يكون هدفه محدد، فالعنف الرمزي يتخذ عدة أشكال وأنماط تشكل في مجملها إشارات أو رموز للمواجهة غير المباشرة، حيث يعتمد فاعلوه على التخفي دون الظهور علانية" (ميلوده كينه والبشير غانية، 2022)

II- مساءلة الآليات المساهمة في خلق فضاء عمومي في السياق الجزائري وفقا لمفهوم العنف الرمزي :

يحدّد نصر الدين لعباضي العناصر الأساسية المؤسّسة للفضاء العمومي في: "المجتمع المدني، المواطنة، الحرية والديمقراطية، المشاركة السياسية، الخدمة العمومية في مجال الإعلام، الفصل بين ما هو خاص وما هو عام، الإعلان عن القضايا ذات الشأن العام، سيادة النقاش والجدل، الاحتكام إلى العقل وليس إلى القوة، الاستخدام العمومي للحجة" (نصر الدين لعباضي، 2011)

II.1 - الفضاء العمومي في السياق العربي والمغاربي :

تعتبر الدولة في البلاد العربية ظاهرة مستجدة ليست نابعة عن صيرورة التّغير الاجتماعي المحلي، بقدر ما تُشكّل كيانا غريبا وقع فرضه من الخارج؛ بفعل الاختراق الذي تعرّضت له هذه البلاد خلال مراحل تاريخية معينة، كما أنّها شكّلت أداة ووسيلة التّحديث الرئيسية التي أنتجت بقيّة المؤسسات والتّنظيمات المختلفة التي احتاجت إليها لفرض هيمنتها وسيطرتها ككيان غريب؛ وقع غرسه في جسم المجتمع المحلي ذي الطّابع التقليدي بالنّظر إلى بنيته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. (العباشي عنصر، 2000)

وكان دور تلك المؤسّسات والأجهزة في عهد الاحتلال والحماية؛ ولا يزال كذلك في عهد الاستقلال مع فارق تأميمها وإدارتها من قبل نخب محلية؛ هو ممارسة الرّقابة على المجتمع وإخضاعه لسلطوية دولة ذات طابع وراثي جديد تحت سيطرة أقليّات عائلية عسكرية وبيروقراطية.

وهكذا تشكّل مؤسّسات الدولة وأجهزتها سواء على المستوى الوطني أو المحلي (المجالس المنتخبة، والبلديات، وأجهزة الإدارة المحلية والإقليمية) أدوات إضافية للجهاز البيروقراطي المركزي للدولة؛ أكثر منها مجالس ورابطات ومؤسّسات محليّة

تتّصف بحدّ أدنى من الاستقلالية والتّمثيلية، تسعى لخدمة الأفراد والمجموعات وترعى مصالحهم. (العايشي عنصر، 2000)

وإذا عدنا إلى الطّبيعة الجدالية التي يشترطها مفهوم الفضاء العمومي الهابرماسي، فإنّ طبيعة الشّعوب العربية تنأى عن هذه الخاصية في التفكير والنّقاش؛ ليس رفضا وإنّما موروثا اجتماعيا ثقافيا توارثته الأجيال، لكن هذا لا يجعلنا نغفل الطّرف عن الجدالات المترسّخة في الثّقافة العربية الإسلامية، لعلّ أبرزها ما كان بين الغزالي وابن رشد وغيرهما كثير، إلا أن الأجيال اللاحقة وبسبب القطيعة الأنطولوجية مع التراث الإسلامي الحجاجي، وبفعل الأمية الرّهيبية لديها؛ وتحولّها إلى الثّقافة الشفاهية؛ تراجعت المحاجة كأسلوب خطاب، وساد السّرد والحكي في نقل الأفكار وتداولها. (نصر الدين لعياضي، 2011)

وفي ظروف "الديموقراطيات النّامية" مثل ما هو الحال بالنسبة للمجتمعات المغاربية فإنّ الفضاء العمومي؛ كفضاء للوساطة بين المجتمع والسّلطة السّياسية، لم يصبح في مركز التّفكير سوى منذ سنوات التّسعينيات مع نهاية مرحلة الحزب الواحد في الجزائر (A. Bouchaala, 2017)

فقد ظلّ الفضاء العمومي المغاربي مُغلّقا، محكوما بسيطرة الأنظمة الشمولية عليه؛ وتوجيهه لما يخدم مصالحها المادية المباشرة، وهولا يستطيع الفكاك من آليات الدّعاية وأدوات الهيمنة التي تتحكّم فيه وتوجّهه الأنظمة الاستبدادية؛ بثقافتها الرّجعية والمحافضة وبطقوس القرون الوسطى؛ للحيلولة دون الدّخول إلى الحداثة حتّى، وترتكز "ممانعة" الطبقات الحاكمة في البلدان المغاربية على مصالحها المادّية المباشرة من جهة، وعلى الضّغط الذي تمارسه الإمبريالية (وخاصة الأوروبية) لضمان التّبعية من جهة أخرى (A. Bouchaala, 2017)

وبالنسبة لحرية الإعلام فإن الثّابت في تاريخ المنطقة المغاربية أنّ هناك تقاليد جامعة ساهمت في احتكار الوسيلة الإعلامية البارزة والثّقيلة "التلفزيون"، وأدّت بذلك

إلى احتكار المجال السمعي البصري برمته، حيث أصبح أداة في يد السلطة لخدمة إعلام بروتوكولي (رئاسي أو حكومي) لا غير، و"رغم ما تدّعيه هذه الدول من مساعي لإعادة هيكلة المشهد الاتصالي والإعلامي؛ ورغم ما اقترح في هذا المجال من تعددية في مظاهر البث التلفزيوني؛ إلا أنّ الفكر القيادي المغربي لم يستطع الرّفع معرفيا من شأن فكرة الاتصال أو ما يُطلق عليه هابرماس بـ "التّواصل النّاجع"؛ الذي يفترض شرط تجاوز إشكالية وعي الحرية، وشيوع ملكية التّقنية الاتصالية وحرية التّعبير كمقوم أساسي للفكر الديمقراطي". (F. Pige, 1986)

ويرى لعياضي أنّ الفضاء العمومي العربي بشكل عام يعيش أزمة بسبب انزياح الإعلام عن دوره الأساسي في تنوير الرّأي العام نحو الإفراط في التّرفيه وغلبة الذاتية؛ إذ "تحوّل النقاش حول الشّأن العام من الاستخدام العلني للحجة إلى التّمشهد والاستعراض والفرجة، موضّحا أنّ التّفكير بالفضاء العمومي من الجانب السّياسي أصبح قاصرا؛ لأنّ أدوات التمثيل والتنفيذ غائبة"، مركّزا على مخاطر سيطرة برامج الواقع على المحطّات الإعلامية، ويأتي تفكّك الفضاء العمومي في صدارة تلك المخاطر (نصر الدين لعياضي، 2016)

2.II - الفضاء العمومي في السياق الجزائري :

تاريخيا كان الأهالي الجزائريون خلال الفترة الاستعمارية مقصّين من الفضاء العمومي في المدينة الاستعمارية على أسس عنصرية تحدّدها الانتماءات العائلية والدينية؛ التي بدورها تحدّد المكانة والموقع الاجتماعي للأشخاص في المدينة الاستعمارية (M. Larbi, 2017)، "غير أنّ هذا لم يمنع من ظهور بعض الفضاءات العمومية للمجتمع الجزائري المحتلّ، والتي تعتبر فضاءات مختلفة تماما نشأت وتطوّرت للدّفاع وتثبيت التميّز والاختلاف عن سلطة المحتلّ؛ كفضاءات متداخلة للتعبئة والوساطة بين المجتمع الجزائري المحتلّ والإدارة الاستعمارية"، مثل التّوادي

والصحف والجمعيات التي أنشأتها مختلف تيارات الحركة الوطنية (عفاف زقور، 2013)

"هذا الحيز المكاني للفضاء العمومي الذي تمّ التفاوض عليه هو بمثابة تحدّ لسلطة الإدارة الاستعمارية نفسها؛ وبالتالي لا يجب أن يحجب رمزية هذا الاسترجاع المكاني أي استعادة السلطة للمجتمع المحتل على أجزاء (فضاءات) من الفضاء العمومي. وقد سعت السلطة السائدة إلى جعل هذا الفضاء العمومي للمجتمع المحتل جامدا وسهلا للمراقبة ووسيلة للحفاظ على وجودها، ولكنّ هذه الفضاءات عرفت حركيّة وحيويّة، وتحوّلت إلى مكان للصراع بين عدّة فاعلين اجتماعيّين حاولوا خلق ما يوازي هذه السلطة بالارتكاز وتبني هوية إسلامية جزائرية ضد هوية المحتل" (عفاف زقور، 2013)

وبعد أن نالت الجزائر استقلالها ووقوعها في قبضة الحزب الواحد؛ ظهر الإعلام الحكومي الإقصائي موجّها من طرف الدولة؛ باعتباره جهازا إيديولوجيا يخدم خطاب السلطة بمفهوم الفيلسوف ألتوسير Althusser مع تهميش شريحة واسعة من الفئات المجتمعية، وبسبب الأزمة الأمنية والسياسية التي عرفت الجزائر المستقلّة؛ كان مجال الفضاء العمومي إلى حدود نهاية التسعينيات فضاء منظّما أفقيا وعموديا، متحكّما فيه وموجّها عبر آليات الدعاية الرّسمية (التّحكم في الإعلام وفرض الرّقابة على كلّ وسائله وأدواته)؛ في الشّارع وفي كلّ الفضاءات العامّة والخاصّة وحتى الأكثر حميميّة، التّحكّم في الاتّصالات الفردية، وفرض المتابعات على الأفراد الفاعلين في النّضال الاجتماعي والسياسي أو ما اصطلح عليه ببيير بورديو (pierre Bourdieu) بـ "العنف الرمزي"؛ الذي يقبل به الفاعلون الاجتماعيون وتمارسه الدولة وكأنّه عنف مشروع؛ بهدف السيطرة وضمان تنشئة اجتماعية تدمج الفرد في الجماعة ضمن هدف استقرار الدولة والمجتمع (A. Bouchaala, 2017)

على إثر ذلك؛ أصبحت الجزائر أمام معطى جديد في ممارسة الفعل المطليبي الاحتجاجي في المجال العمومي: ضهور الفعل السّياسي الكلاسيكي وتنامي الفعل

الاجتماعي الجديد، حيث سارعت عملية الاحتجاج في الشارع وتزايد النقاش العمومي (بقيادة الصحافة المستقلة التي تمتعت إلى حد ما بحرية ممنوحة في اشتغالها)؛ مع الهامش المتاح لممارسة الحقوق المدنية (حرية التّظاهر والتعبير)، سارعت في انطلاق دينامية جديدة غير معهودة من الفعل الاجتماعي المنظّم بمقتضى قواعد جديدة وآليات فعل بديلة. (A. Bouchaala, 2017)

وهكذا أمكننا القول إجمالاً أنّ العقود الأخيرة من تاريخ الجزائر اتّسمت بشكل عام بنضال اجتماعي، مكّن القوى المطالبية من تطوير تجاربها كرد فعل على جمود الفعل السياسي. (A. Bouchaala, 2017)

من جهة أخرى لا يمكن الحديث عن الفضاء العمومي في الجزائر بمفهومه المعروف والمتداول في الغرب، إلّا من خلال بعض تجليات هذا المفهوم؛ ولعلّ أبرزها مفهوم "المجتمع المدني". وفي تحديده للمجتمع المدني أكد هيجل (Hegel) بأنّه تلك "التنظيمات والأنشطة التي تقوم على أساس تعاقد حرّ بين الأفراد خارج إطار العائلة والدّول"، ذلك يعني أنّ المجتمع المدني في مفهومه العام يختلف عن السّلاطات والتنظيمات السّياسية. ويعرّفه غرامشي (Antonio Gramsci) بأنّه "مكوّن من مكوّنات دولة الطّبقة، بينما يكون المجتمع السّياسي المكوّن الآخر". فهو إذن "مجموع التنظيمات والمؤسسات التي تحقّق التّوافق حول المجتمع السياسي. (منصور مرقومة، 2012).

في إطار هذا المفهوم وبالنسبة للجزائر؛ يكاد يكون هذا التّنظيم منعدماً؛ إذ لا تتعلّق مشكلة المجتمع المدني في الجزائر بعدم وجود منظمات لهذا المجتمع، فالسّاحة الجزائرية تتمتع فعلاً بوجود تكوينات للمجتمع المدني من أحزاب وروابط اجتماعية واقتصادية واتّحادات طلابية ومنظمات نسائية ونقابات مهنية وجمعيات تطوّعية، وهي تمارس بالفعل أنشطة متنوّعة ومتعدّدة، إنّما تتمثّل مشكلة المجتمع المدني الجزائري في عدم فاعليته وفُقدانه للاستقلالية في مواجهة الدّولة، فالدّولة الجزائرية كغيرها من الدّول السّمولية تسمح قانوناً بالجمعيات والتنظيمات

المدنية، لكنّها في الوقت نفسه تضع من القيود التّشريعية والإدارية والسّياسية ما يسمح لها بمراقبة هذه التّنظيمات وتحديد مجال حريّتها وحركتها. كما أنّ "نشاط الجمعيات في الجزائر قد تأثّر بالوضع الأمني خلال سنوات التسعينيات، ممّا جعل أدائها كرجع صدى للأداء الحزبي الهزيل؛ في علاقة تداخل وتجاذب للمصالح والأدوار" (بوحنية قوي، 2011)

وفي النّهاية تتجمّع الأسباب التي تؤثر على فاعلية تنظيمات المجتمع المدني وتجعل مشاركتها هامشية ومحدودة، وبالتالي فهي لا تؤدّي دور الوسيط بين المجتمع والسّلطة الحاكمة أو الدّولة؛ كما هو الحال بالنّسبة للمجتمعات المدنية في الدّول الغربية.

إنّ استيراد فكرة المجتمع المدني بالمعنى الشّائع اليوم (المنظمات غير الحكومية) مقطوعة عن إطارها المرجعي التاريخي؛ يتضمّن مخاطر عديدة ليس أقلّها الاعتقاد الواهم بوجود عمل سياسي ديمقراطي، بينما الواقع يشير إلى غياب أمر اسمه "الحقل السياسي" له استقلالية نسبية عن بقيّة الحقول الأخرى الاجتماعية، الثقافية، والاقتصادية ...، وفي أحسن الحالات انغلاق هذا الحقل أمام المبادرة السياسية الحرة وتميّزه بدرجة عالية من التّقييد والاستعمال الأداتي من قبل النّظام، بل أسوأ من ذلك اغتراب القطاع العريض من المجتمع عن عملية البناء الديمقراطي؛ بسبب الاعتقاد الخاطئ أنّها عملية تخصّ الأقلية من المجتمع (النّخب الفكرية، البيروقراطية، التكنوقراطية، الاقتصادية ...)، وذلك بسبب الممارسات التي تقوم بها هذه النّخب من جهة، وبسبب التّصوّر الخاطئ عن المجتمع المدني الذي يختزله في المنظّمات غير الحكومية الحديثة بالخصوص؛ من جهة ثانية" (العايشي عنصر، 2000) وهذا بالتحديد ما يعزز فكرة العنف الرمزي كما حددها بيير بورديو عندما أشار إلى أنّه (أي العنف الرمزي) تعزيز غير واعي للوضع الراهن الذي يُنظر إليه على أنّه "القاعدة" من قبل أولئك الموجودين داخل تلك الطبقة الاجتماعية.

وحتى لو اعتبرنا البرلمان كتجسيد حي للفضاء العمومي في شقة الفيزيائي، فإنّ التمثيل في المجلس الشعبي الوطني الجزائري لا يقوم على أسس ديمقراطية، فللسلطة ورأس المال الخاص المتحالف معها الكلمة الأخيرة في الانتخابات، هذا بجانب تغييب النقاش الحر والديمقراطي حول القضايا ذات الشأن العام في وسائل الإعلام الرسمية، ودفع القنوات التلفزيونية " الخاصة" إلى استغلال النقاش من أجل تسفيه المعارضة وتجريمها وتشويه صورتها، إضافة إلى شلّ النشاط السياسي؛ لدرجة منع التجمعات والمسيرات السلمية، وغلق القاعات في وجه الأحزاب السياسية المعارضة والمعتمدة، واستعمال العنف ضد المتظاهرين والمعتصمين.

إن السياقات المنتجة للفضاء العمومي كما يطرحه المفكرون الغربيون يفترض وجود بيئة ديمقراطية حاضنة وسلمية، تحتكم إلى التفاهم والإجماع حول طريقة الحكم، وتتيح الأدوات السياسية والإعلامية اللازمة لتشكيل فضاء عمومي حقيقي وإتاحته للأفراد لمناقشة قضاياهم وتطلعاتهم، ومنها كما ذكرنا سالفاً فكرة المجتمع المدني كوسيط ومراقب؛ المشاركة السياسية في صنع القرار، حرية الرأي والتعبير، التفكير العقلاني وتحييد الإيديولوجيا، حرية الإعلام وإتاحته أمام الأفراد، وغيرها من الأدوات التي اتضح أنها ظاهرياً موجودة في الممارسة السياسية في الجزائر، سواء ما تعلق منها بطبيعة نظام الحكم ومختلف التوصيفات الظاهرية التي تطبعه، أو تلك المرتبطة بممارسات الأفراد كمواطنين يتمتعون بالحق في ممارسة السياسة وحرية التعبير والاختيار، إلا أنه من خلال عرضنا البسيط الذي حاولنا فيه تتبع بعض السياقات الجغرافية؛ التاريخية؛ الاجتماعية؛ والسياسية لتشكّل فضاء عمومي جزائري، لا حظنا أنه لا يتوافق مع ما يطرحه المنظرون للمفهوم في السياقات الغربية المختلفة تماماً عن السياق الجزائري في بعده المغاربي والعربي.

ولعل ما طرحناه عن سياقات تشكّل فضاء عمومي جزائري يرتبط أشد الارتباط بفكرة "العنف الرمزي"، وذلك حينما نتحدث عن استعارة أفكار وأدوات الدولة الديمقراطية الغربية ومحاولة إقحامها في بيئة منافية لتلك الأفكار، ومحاولة إيهام

الأفراد المواطنين بامتلاك الوسائل وبلوغ الأهداف لتحقيق رفاهية الأفراد عبر الإعلام وعبر المواعيد الانتخابية ومؤسسات المجتمع المدني والشعارات والخطابات الرنانة، كل هذا يصب في خنق الرأي العام وممارسة عنف لا مادي عنف رمزي يجبرهم على التسليم بالوضع الراهن والقبول بما هو كائن، وأن ما يثار عبر الفضائيات الافتراضية ما هو إلا عمل "ذباب إلكتروني" وعمل أيادي خارجية حاقدة على الجزائر، تريد إثارة الفتن وتسعى لقلب الوضع، وهو ما يؤدي إلى انخراط المواطنين في الصمت والخوف حفاظا على أمنهم وعلى مستقبلهم.

خاتمة:

نخلص إلى أنّ هذا العنف الممارس ضدّ الصوت المعارض لسياسة الحكم، يجعل من الحديث عن إمكانية "تشكيل فضاء عمومي" في جزائر اليوم مهمة صعبة للغاية في ظل جملة المؤشرات التي تم الوقوف عندها، لذلك يدعو المتخصصون إلى ضرورة التعامل بحذر مع مفهوم الفضاء العمومي في السياق الجزائري، فكونه ظهر كنظرية في المجتمعات الغربية كما يقول الحمامي؛ لا يعني بالضرورة نجاحها في المجتمعات العربية؛ التي تحمل خصوصيات وسياقات "عنيفة" تختلف تماما عن خصوصيات المجتمعات الغربية التي ظهرت فيها.

المراجع:

• المؤلفات:

- J. Habermas, L'Espace public : Archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la société bourgeoise, traduit de l'allemand par Marc B. de launay, Edition Paillot, Paris, 1990.
- P. Bourdieu, La domination masculine, Le Seuil, coll. Liber, Paris, 1998.
- F. Pige, Radiodiffusion et télévision au Maghreb, FNSP, Paris, 1986.
- S. Micheal, Expanding the Public sphere through computer – mediated communication, Massachusetts institute of technology, Canada, 1997.

• المقالات:

- نصر الدين لعياضي، فضاء عمومي أم مخيال إعلامي: مقارنة نظرية لتمثل التلفزيون في المنطقة العربية، حولية الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 31، الرسالة 336، جامعة الكويت، 2011.

- علي أسعد وطفة، من الرمز والعنف إلى ممارسة العنف الرمزي، قراءة في الوظيفة البيداغوجية للعنف الرمزي، مجلة شؤون اجتماعية، جمعية الاجتماعيين في الإمارات العربية المتحدة، الشارقة، السنة 26، العدد 104، شتاء 2009.

- ميلوده كينه والبشير غانية، العنف الرمزي -دراسة نظرية في مفهومه وآلياته - مجلة الشامل للعلوم التربوية والاجتماعية، المجلد 05، العدد 02، ديسمبر 2022.

- H. Mah, Phantasies of the Public Sphere, Journal of Modern History, Vol.72, No.1, Mar 2000.

• المداخلات:

- العياشي عنصر، ما هو المجتمع المدني؟ الجزائر أنموذجا، مؤتمر المشروع القومي والمجتمع المدني، 07-12 ماي 2000، قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، سوريا.

• مواقع الانترنت:

- عفاف زقور، الفضاء العمومي وأبعاده المركبة بمدينة الجزائر: نادي الترقى والتعبئة الدينية-السياسية (1927-1940)، مركز البحث العلمي والتقني في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، متاح على الموقع:

<http://www.crasc.dz>

- منصور مرقومة، هل يمكن الحديث عن فضاء عمومي في مجتمع محلي تسوده العصبية وروح القبيلة؟ مركز البحث العلمي والتقني في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، متاح على الموقع: <http://www.crasc.dz>

- بوحنية قوي، المجتمع المدني الجزائري : الوجه الآخر للممارسة الحزبية، مدونة الدكتور بوحنية قوي، متاح على الرابط: <http://bouhania2010.blogspot.com/search>

- A. Bouchaala, L'émergence du concept d'espace public dans les contextes sociopolitiques Maghrébins : réflexions sur le cas Algérien, Multimed. URL : <http://insaniyat.revues.org/11257> ; DOI : 10.4000/insaniyat.11257

- M. Larbi, Lien sociale et espace public en Algérie : De la colonisation à l'émergence de l'Etat-nation, <http://www.crasc.dz>

- V. Devillar, Espace public et l'emprise de la communication, In : notes de lecteurs, www.ENSIB.fr